وسيكون المستفيد الأول من هذا الواقع، فيما إذا حدث، أعداء الكيان الاسرائيلي. ولا شك بأن التاريخ سيحكم، موضوعياً، على من يقدم على مثل هذه الخطوة، على الرغم من شعاراته الصهيونية، سواء كان صادقاً أو مخادعاً في رفعها، بأنه قدم إلى أعداء اسرائيل، أي العرب، قوة إضافية تعادل قوتهم الفعلية أو تزيد عنها الأمر الذي يمكنهم من تسريع عملية إزالتها.

وإذا كان عامل تغييب الحياة الديمقراطية ينطوي على هذه الخطورة بالنسبة للمجتمع الاسرائيلي، ويعتبر، في الوقت نفسه، سلاحاً حاداً في يد أعدائه، إفلا يشكل، أيضاً، في حال توافره في العالم العربي، سلاحاً حاداً في يد اسرائيل موجهاً ضد أعدائها؟

لا يحتاج المرء إلى إجهاد فكري للاجابة بأنه إذا توافر عامل القمع وشاد المنطقة العربية، فإن ذلك يعني ليس اضعافاً للقوة العربية فحسب، بل أيضاً إضافة قوة إلى العدو توازي، ان لم تزد مرات كثيرة بالفعل، قوة الجيش الاسرائيلي، الأمر الذي يمكن اسرائيل من البقاء والتوسع ويمنحها بالتالي أسباب الحياة، تماماً كما منحها واقع القمع الاستعماري في فترة ولادة مشروعها وتطوره.

ان اسرائيل تستطيع، من خلال جيشها، ردع هذه الدولة أو تلك، أو توسيع حدودها، في حال حل أزمة الصهيونية، على حساب أراض من هذه الدولة أو تلك، ولكنها لا تستطيع أبداً فرض القمع على شعوب تتفوق عليها عدداً ثلاثين مرة. هذا، علاوة على انها تفضل التشريد والطرد على القمع إذا كان الأمر ممكناً. **ومن حسن حظها انها وجدت على امتداد تاريخها، كفكرة ومن ثم كتجسيد، من يقوم بالدور الذي لا تستطيع هي ذاتياً القيام به.**

ولكن، هل القمع سائد بالفعل في العالم العربي؟ وهل الحياة الديمقراطية، نقيض القمع، قائمة فيه وتتمتع بها جماهير المنطقة لتقضي على التخلف والتجزئة وتسخر ثرواتها لصالحها، وتساهم في تطوير الحضارة الانسانية واغنائها؟ وهل تساهم هذه الجماهير العريضة الممتدة من المحيط إلى الخليج في صناعة القرار السياسي؟

طبعاً، إذا كانت الاجابة صادرة عما يزيد على عشرين رمزاً متربعين على كراسي الحكم في شتى أرجاء العالم العربي، ستكون بأن الحياة الديمقراطية سليمة وقائمة وان لا قمع ولا «ما يحزنون»، أو ان حالة القمع قائمة في معظم، أو كل، الاقطار العربية باستثناء بلد المجيب. وربما تسلح البعض بتهمة عمالة الاستعمار والصهيونية ليوجهها إلى من تجرأ على ربط القمع ببقاء اسرائيل ومضاعفة قوة جيشها مرات. ولكن يمكن تفنيد ادعاءات هؤلاء بالتساؤل: هل هم (أنظمة الحكم) على استعداد للسماح لطروحاتهم واجتهاداتهم بالتصارع في جميع أرجاء الوطن العربي بجدية ضمن أطر وتنظيمات دون أن تطالها أداة القمع؟ الاجابة معروفة سلفاً. إنهم لا يستطيعون، فمن يقمع جماهيره هو أيضاً أسير عملية القمع.

ان القاسم المشترك لأنظمة الحكم العربية يتمثل بتغييب الديمقراطية وإخلال القمع مكانها. ومن نافل القول أن لهذا الواقع أثره السلبي ليس على تطلعات الجماهير العربية